هو الكاهن المشهور بالبرّ والتقى هو المقتني عن كلّ وصف وشهرة
اذا افتخرت مصر بيوسف عصرها ففي يوسف الشهباء عزّي وفخرتي
وان باهت الأيّام عجبًا بذكره فلا عجب اذ فيهِ كلّ عجيبة
لقد دبَّ بالاقدام طفلًا مباركًا وشبَّ على إقدام كلّ فضيلة
وطلَّق دنياهُ طلاقًا مؤبدًا وهام بعشق العزّة العلويَّة
وجاهد في سُبُل الجهاد كناسك وحصَّن حصن النفس من كلّ شهوة
محامدهُ قد اعجزت كلّ مادحٍ كما عجزت عن نعيهِ كلُّ قدرة
أأني رسولاً وهو اعظم مرسل وخير اناء مصطفى للكنيسة
أأبكي شهيدًا وهو اكبر شاهد بتقواهُ للحق المبين المحجّة
أأندب واويلاهُ افضل ناسك وقد فاق كلّ الناسكين بخلوة
أأرثي عفيفًا قد تسامى بعفةٍ شذا عطرهِ قد فاح بين البريَّة
أأحصي سجاياهُ وتعدادها غدا يفوق نجوم القبَّة الفلكيَّة
فقدتم ايا رسل المسيح يتيمةً على فقدها كلّ المراثر شقَّتِ
على فقدهِ تبكي السماء وارضنا فهذي باحزانٍ وتلك ببهجة

وقال الشاعر الاديب امين افندي الموصلي احد ادباء المسلمين:

فردٌ همام كان ما بين الورى يأوي الفقيرَ واليتامى يسعفُ
قد حلّ في الدنيا مطيعًا ربَّهُ وعلى العبادة في الليالي يعكفُ
يخشى القيامة راجيًا ملكوتهُ يتلو اناجيل المسيح يعرّفُ
لمَّا رأى الدنيا الدنيَّة كلّها ظلًّا يزول ونور شمس يكسفُ
ولحقَّقت كلّ الخليقة عندهُ اضغاث احلام لديهِ ترخرفُ
طلب الاقالة واستمدَّ بربهِ فلكم ترى ملكًا بمجنح يقتفُ
صعدوا بهِ نحو السماء وقد غدا طرف اليمين جلوسهُ يتشرَّفُ
جاء النداء فارّخوهُ بطيّبٍ اعطيت ذا ملكوتهُ يا يوسفُ

سنة ١٨٨٢

في الخيال

بقلم الاب لويس رزقال اليسوعي

١ تعريف الخيال واقسامهُ

سبق لنا القول ان من جملة حواسّنا الباطنة قوةً جُعلت لاستثبات صور كافة المحسوسات واستحضارها في حين غيبتها فسمّينا تلك القوَّة خيالًا او مخيلةً ومما يستخلص

تزًا من تحديدها ان التصورات الخياليَّة لا تنحصر على مجرَّد تمثيل الاشياء التي قد طرقت عيننا فقط بل انها تتضمَّن ايضاً تكرار انفعالات سائر حواسّنا (imagination reproductrice). فمعلومٌ اني اذا سمعت خطابًا انيقًا ترتاح اليهِ النفس امكَّن متى شئت ان أُحيي في ذهني لا هيئة الخطيب وحسن ايمائهِ فقط بل صوتهُ الجهور والقاءهُ البديع وكذا قُل عن سائر ما اثَّر قديمًا في أُذني وكلّ مشاعري وانما اصطلحت الناس على لفظة "صورة" دلالةً على اشدّ المحسوسات فينا اثرًا لفضل البصر واختلاطهِ في معظم حواسّنا. قال المسيو هنري جولي (١ ان مقلتينا مفتوحتان من الغدوّ الى الآصال ويندر ان لا يتيسَّر لنا رؤية ما نذوقهُ او نتنسَّمهُ او نمسّهُ او نسمعهُ وبعكس ذلك كثيرًا ما يتعذَّر على سائر الحواس ان تشترك في ادراك ما ترمُقهُ العين فلا حرج اذًا من تغلُّب فعل البصر على افعال اقرانهِ واطلاق اسم الصورة على تأثيرات كافَّة الحواس"

هذا وقد يتَّفق ان صور الاشياء تتشخَّص امام عين مخيلتنا على نمط يخالف مثولها الاول فيتولد من اقتران تلك التمثلات الجزئيَّة الواقعيَّة صورة جديدة لا مقابل لها في عالم الكائنات فهي اذ ذاك من مبتكرات خيالنا ومبتدعاتهِ. امَّا اذا اتت تلك الصورة مكسوّة برونق يخلب الاذهان ويقضي بالعجب والاستحسان فكانت حينئذٍ من مولدات الخيال المستنبط او الخالق (Imagination créatrice) وهي ملكة شريفة لم يُرزقها في اسمى درجاتها الَّا الرهط القليل ممَّن نبغوا في فنون الخطابة والشعر والتصوير والموسيقى وغيرها من نواضر الفنون. فمجمل القول في تنويع المخيلة انها تنقسم الى قسمين قسمٌ دأبهُ اعادة صور المحسوسات الغائبة وهي قوَّة مستقرَّة في كلّ منا على درجاتٍ مختلفة وسنبيّن ما لها من النصيب الوافر في جميع حركاتنا وسكناتنا وقسمٌ يتصرَّف في تلك التمثلات تصرُّف الحرّ فيُخرج الطارف من التالد والساطع البهي من القاتم المطموس

٢ مركز الخيال

وللخيال صفاتٌ واقسام غير ما ذكرنا يطول بنا شرحها ولا طائل في ذكرها ولذا

١) راجع كتابهُ H. Joly: *l'imagination*

نضرب عنها صفحاً ونتخطّى الى البحث في مركز هذا الحس الباطني. من الناس قوم جعلوا الحواسّ الخارجة آلة للخيال ومستودعاً لتصوّراتهِ وهاك وجه احتجاجهم يقولون: « لا غرو ان الحياة في الحركة عموماً وخصوصاً وبالتالي لا حياة بحاسّة من حواسّهِ الّا في مداومة العمل. امّا هذا العمل فلا يخلو ان يكون على احد نوعين امّا هو تأثير يأتي من الخارج فتنطبع آثارهُ في المشعر وامّا عملٌ داخلي يقوم بهِ الحس نفسهُ بعد غيبوبة المحسوس. مثال ذلك العين اذا ابقيتها مفتوحة لا تبرح متأثرة ممّا يحدق بهـا من المرئيّات وهي حينئذٍ مباشرةً عملها العادي الاولي لكنّك اذا غمضتها فانها لا تنفك سائرةً مسيرها وقائمـة بوظيفتها ولو على اسلوب جديد لانك تعاين ضمن جفونك المرتجة صورة ما كان يحرّك سابقاً شبكة عينك وانْ هذه الصورة الخياليّة الّا نتاج العين ذاتها ومعلول عملها الثانوي. فثبت اذًا على رأيهم ان مركز الخيال في المشاعر الخارجيّة. ثم يُردفون قولهم بان ظواهر حالة النوم تأتي مصداقاً قاطعاً لصحّة ما يذهبون اليهِ لان حينئذٍ لا حسّ من حواسنا الّا ويصدِر عملًا باطنيًا حين تكفُّ المدركات الخارجيّة عن كلّ تعليل فهي عين الراقد تُصوّر رسوم الكائنات وهي اذنهُ تُلحن الالحان وهلمّ جرًّا حتى يأتلف من كل هـذه التمثلات شبه حياة تظهر في الحلم والحلم مرجعهُ الى الخيال. فالخيال اذًا مستقرّ في المشاعر يبرز افعالهُ عند منع الخارجيّات عن العمل »

هذا قول تلك الفئة. امّا نحن فمع ضعف حصافتنا لا نرى وجه الصواب في هـذا الرأي. وكفانا لدحضهِ ان نقول:

اذا كان الامر كما تزعمون فيتحتّم على جميع حواسّنا ان تشتغل طول ساعات نومنا دون سكون ولا كلل اي بعبارة أخرى ينبغي ان نحلم كلّ ما اوينا الى الرقاد احلاماً تشترك فيها جميع مشاعرنا وهذا مردود من وجهين: اولًا من كوننا لا نحلم كل ليل. وثانيًا من كون احلامنا غير مركّبة عادةً من افعال جميع حواسنا. وهب الامور تجري كما يتوهّمون (لانهم ربّما اعترضوا اننا نحلم دائماً ولكن لا ننتبه لكل احلامنا لخفّة وطأتها وسرعة تناوبها) فهل تصح مع ذلك نتيجتهم بان مركز الخيـلة الحواس الخارجيّة؟ لا نظن ولسنا نرى في اقاويلهم الّا افتراضاً محمولًا على الحدس لا يمكنهم اثباتهُ

وعندنا ان مقرّ الخيال هو الدماغ نفسهُ. وهذه اخصّ البراهين التي نسند اليهـا مدّعانا. وهي على ظننا ادلّة واضحة لا تُبقي وراءها نُدحةً للريب

اولًا الاختبار الذاتي وذلك اننا كلما اكثرنا من إعمال المخيلة في مسألةٍ من المسائل نشعر بثقل يعقبهُ بعض الوجع والعيّ لا في حواسنا الظاهرة لكن في طوائف معلومة من الحُقّ الدماغي فالبعض يشكو الماَ في الصدغين والبعض في الجبهة او في قمة الرأس وهذا لم يكُ ليحدث لو لم يكن مركز المخيلة في الدماغ والّا لصح القول بان بطرس يشتغل وبولس يتعب

ثانيًا لنا برهان آخر اقوى من المتقدّم لا ندري كيف لم يهتدِ اليهِ الناظرون وهو ان المخيلة لا تزال تُنجز عملها ولو تلفت المشاعر الخارجية وفسدت. والامثال من هذا القبيل اكثر من ان تُعدّ يوردها الخصوم بكل سذاجة وهي تُبطل زعمهم من حيث لا يشعرون. فكلٌ يعلم ان فاقد البصر لم يفقد قوّة الاستحضار التي تمكّنهُ من ان يصوّر في ذهنهِ صور الاشياء التي وقع عليها بصرهُ سلفًا. وكذلك الاصمّ فانّهُ يعيد في ذاتهِ متى شاء الاصوات والألحان لا بل يُعنى احيانًا بوضع الانغام الموسيقيّة موقعةً على آلات مختلفة واشهر ما يُحكى من ذلك امر بيثوفين (Beethoven) الموسيقي الالماني الطائر الشهرة فانّهُ رغمًا عن الصمم التام الذي اعترى اذنيهِ كان يقوى على تأليف روايات موسيقيّة. ومما وضع في اثناء ذلك روايتهُ الموسيقيّة (opéra) المسمّاة فيديليو (Fidelio). فماذا نقول بعد شواهد كهذه؟ وان كان حرمان الحس لا يحول دون استتمام المخيلة افعالها القابلة لهذا الحس فهل يجوز جعل المخيلة في المشاعر الخارجيّة

ثالثًا واخيرًا قد ثبت دون مشاحة ان الخيال يضطرب ويتشوّش في قضاء مهمّتهِ اذا لحق بالدماغ صنفٌ من الشوَه امّا هذا الاضطراب فيتعاظم على قدر تفاقم الخطب وربّما اختلّ الشعور تمامًا اذا كانت الصدمة الخارجيّة او الداخليّة فوق طاقة المبتلى. والغريب في ذلك ان هذا يحدث ولو كانت المشاعر الخمس حائزة تمام الصحّة والكمال فكيف يكون مركز المخيلة في هذه المشاعر فتبقى المشاعر سالمة عند فساد المخيلة. أفليس عدم فساد المشاعر دليلًا واضحًا على ان مركز المخيلة ليس هو فيها بل في الدماغ كما قلنا. وهذا البرهان نظنُّهُ كضربة قاضية على المعارضين لا يدع لهم مناصًا ومجالًا للمكابرة. لان الامتحان وعكسهُ (l'épreuve et la contre-épreuve) يشهدان كلاهما على صواب رأينا فلينصف المنصفون

كان يجب بعد هذا التفنيد ان نبيّن جليًا اي طائفة من الدماغ هي آلة الخيال.

وقد رأى الاقدمون ان مكان المخيلة في التجويف الاوسط من الدماغ وهو قول لا نتصدَّى لاثباتهِ او لتفنيدهِ لعدم وجود ادلَّة قاطعة فلا بأس ان ندع العلم يواصل ابحاثهُ حتى تُسفر عن نتيجة راسخة لا تُستهدف لسهام الانتقاد. بيد اني اشك ان يتيسَّر يوماً للعلماء تعيين قسم الدماغ المختصّ بكل من حواسّنا الباطنة

٣ ظواهر الخيال

يحسن بنا بعد الفحص عن مركز المخيلة ان نتقفَّى آثارها في تفاوت اعمالها وظواهرها. لا غرو ان التصورات الخياليَّة تتوالى فينا حال يقظتنا توالياً غير منقطع اذ لا يتأتى لنا ان نفتكر فكرًا واحدًا دون تداخل الخيال كما سنبديه. بيد ان لهذا التداخل صفاتٍ تتميَّز بتمييز احوالنا الشخصيَّة فمتى كنَّا في حالتنا العادية القانونيَّة (état normal) اي حالة السكون وسيطرة العقل على القوى البهيميَّة كان دور المخيلة دور المعاون او الخادم الامين يجمع من شتات تأثيراتنا الغابرة ما يقدّمهُ للذهن ليتصرف بهِ على مقتضى حاجتهِ اليهِ. اما حواسّنا الخارجيَّة فهي مباشرة وظائفها دون ان تشكو من الخيال اذًى ولا استغواء. والسبب ان هذه الصور الحسيَّة المنطبعة في أدراج مشاعرنا تكون في هذه الحالة اشدّ وقعًا في نفوسنا مما يتصوَّرهُ الخيال فيسهل علينا من ثمَّ ان نميّز بين صورة الحاضر الواجة ابواب حواسنا وتمثيل الماضي الناشئ بقوَّة مخيلتنا. لكن كثيرًا ما يحدث أن تقوى تلك التمثلات على صور الامور التي عزمنا التروّي فيها فينتج من ذلك بعض الزَّيغ والعاقة في نظام اعمالنا وذاك ما يدعوهُ الناس سهوًا او شتات فكر وهو اخفُّ كل ظواهر المخيلة المعاكسة لترتيب حياتنا مما اوجب لها تسمية « حمقاء الدار » (la folle du logis) اما اذا اطلق المرء العنان لسلسلة خيالاتهِ قصدًا حتى ينهمك في بحر خواطرهِ العجاج فيصبح بالحالم اشبه منهُ باليقظان فكانت عندئذٍ حالتهُ الهوَس (rêverie). ومن مفاعيل الخيال ايضًا الغرور او الوهم (l'illusion) وهو ان تغلب تصورات المخيلة على حواسنا الخارجيَّة لا تماماً حتى تُقنعنا بحضور الغائب لكن بحيث انها تخطئنا موقتًا في ادراكنا المحسوسات

مثال ذلك ان ينطق احدٌ امامك بكلمة فتسمع غيرها يربطها بالاولى بعض الشبه وهذا لاشتغالك الحاضر بمدلول الثانية او لأنهُ اثَّر فيك في سالف الأيام تأثيرًا يصبر

على كرّ الازمان. فاتضح اذًا ان من خواص الغرور بعض الخلط بين الشعور الواقعيّ والخيالي بحيث يبرز الخياليّ مكسوًّا بشدة الواقعيّ ومتانتهِ حتى يوهم صاحبهُ انهُ صورة الواقع. ذكر من هـذا الباب المسيو هنري جولي (١ ان طالبين من طلبة الطب كانا يتشاغلان بتشريح جثة ميت فبينما كان احدهما منغمساً في لجة الافكار والابحاث اتفق انهُ مدَّ احدى اصابعهِ على لحوم الجثة فانتهز رفيقهُ هـذه الفرصة ليداعبهُ فاجاز ظهر مشرطهِ على اصبعهِ بقوَّة وسرعة فما احسَّ الاول بمسّ المبضع حتى رجع الوراء صارخاً صراخاً ارتعدت لهُ فرائص رصيفهِ فسألهُ ما سبب صياحهِ فأجابهُ: « شعرتُ بحدّ الحديد نافذًا عروقي ثمَّ بوجعٍ اليمٍ واصلٍ حتى العظام . . » وما كان ذلك الّا وهمًا بين شعوره الحاضر الغير المؤلم وما قرأهُ او احسَّهُ سابقًا من برد الفولاذ الماضي في الاجسام

غير ان الخيال لا يقف عند هذا الحد من تصرُّفاتهِ الغريبة بل يحدو بالانسان الى مهامه اخرى نجدهُ فيها خائضاً غمرات الضلال يرى وهو يقظان اضغاث احلام يُفتي بصحّتها. وهذه الحال يسمّيها الافرنج (hallucination) لستُ اجد للتعبير عنها في لغتنا العربيَّة كمثل لفظة الاستغواء او الهذيان وهي ناجمة عن جَيَشان مفرط في الدماغ والجهاز العصبي يسبّب هيجانًا عظيماً في اعمال المخيلة فتحتدُّ وتستفزّ حينئذٍ تلك القوَّة (exaltation) وتبرز صورًا لها من مظاهر الحياة ما يفتن العقل ويخاتلهُ حتى يزلّ الرسوم منزلة الحقيقة والاوهام منزلة الواقع من الامور فيرى الانسان والحالة هذه ما ليس امام عينيهِ ويسمع حيث لا صوت يقرع مسامعهُ ويلمس وربَّما كانت يداهُ مقيَّدتين. وان قيل هذا الجنون بعينهِ اجبنا اننا لا نظنُّهُ بعيدًا منهُ في افعالهِ الخارجيَّة الّا ان الجنون عَتَهٌ واختلال يلازم العليل طويلًا امَّا الاستغواء فموقَّت يذهب عند استكانة الجأش. وممَّا قيل ايضاً في الفرق بينهما ان للمُغوى سلطة على نفسهِ يمكنهُ بها الارتداد عن غيّهِ متى أراد بعكس المجنون الذي لم يَعُد لهُ سلطان على افعالهِ البتَّة

وهنا لا بدَّ ان ننبه القرَّاء الكرام الى البون العظيم الفاصل بين الاستغواء كما وصفناهُ وما ترويه الاسفار المقدسة وسير الابرار من حالات الرؤيا والوحي (النبوة) والانجذاب الروحي فان كل هذه لا تخلو من مُدرَكٍ حسّي حقّ صحيح الّا انهُ من طبقة تتعالى عن اطوار الماديَّات يُريها الله لاوليائهِ على طرائق عجيبة امَّا المحسوسات

١) من كتابهِ المخيلة (l'imagination) ومنهُ اقتبسنا بعض فوائد هذه المقالة

التي تجري في الاستغواء فهي كلها وهميَّة مختلفة لا ركن لها في عالم الاكوان فبين الحالتين مناط الثريَّا

ومن مفاعيل الخيال الاحلام التي مرَّ عنها الكلام في المشرق (٣: ٤٤٨) فكتفي بالاشارة. وربَّما ايضاً ثار في الرقاد ثائر الخيال على نوع فاحش فيتحوَّل الحلم الى حركات غريبة في الجسم من مشي وغيره (somnambulisme) وهذا باب لا نقرعهُ اليوم خشية الاطالة المستهجنة

٤ في منافع الخيال

اطلعنا القرَّاء على عدة شوائب تشين بعض الاحيان وجه هذه القوَّة الاغرّ وتبحس قليلاً بقدرها الَّا ان لها مزايا فريدة يسرّنا ان نميط عنها اللثام. ومن انفس فوائدها خدمتها المتواصلة للعقل البشري تقوم باعبائها دون ان يأخذها كلل او تركن ساعةً الى لذة الراحة . والمخيلة معاون امين للذهن لا بل ضروري لا غنى لهُ عنها ما دام الانسان في قيد هذه الفانية مؤلفاً من نفس وجسد. وكما ان مثبع معقولاتنا الاول هي الكائنات الخارجيَّة المدركة بواسطة مشاعرنا كذلك لا يتسنى لنا فعل التعقُّل الَّا بشرط ان يسبقهُ ويُمهّدهُ عمل خيالي مهما كان ضعيفاً ضئيلاً. هكذا قضت بهِ المراسيم الصمدانيَّة او بالاحرى قُل هكذا اقتضتهُ حالة المركَّب البشري. فربَّ سائل يأخذ منهُ العجب فيسأل: وهل انا في حاجة الى المخيلة لاطلاق اعنَّة افكاري فيما هو منزَّه عن الجسميات كماهية الباريء تعالى وكمالاتهِ الغير المتناهية ثم المواد الفلسفيَّة الصرفة والمسائل الرياضيَّة النظريَّة ؟ اجبتُ نعم ومصداقاً لقولي اشير عليهِ بالفحص المكرَّر المدقَّق عن افعالهِ الباطنة عندما يتفرَّغ لهذه الشواغل السامية ألا يرى انهُ اذا اعمل الفكر في الخالق عزَّ وجل لا بدَّ ان يتصوَّرهُ في هيئةٍ او ان يتمثَّل السماء محلّ سكناهُ تعالى كما يروق لديهِ او بالاقلّ ان يشاهد بعين مخيَّلتهِ صورة احرف اسم الجلالة مكتوبة او منقوشة على صفحات خيالهِ. امَّا اذا تعمَّق في الرياضيَّات مهما دقَّت وعلَت فانَّهُ لا بدَّ لهُ ان يستند الى الاشكال الهندسيَّة او يلوذ بالارقام الحسابيَّة الى غير ذلك من التصاوير المحسوسة . والامتحان الصبور اقوى على اجلاء هذا الامر من كل كلام غيور

وفي هذا المقام يتبادر لي ان احلّ مشكلاً طالما سمعته منطلقاً على ألسن الخواص والعوام قيل ويُقال يوميًّا ان علماء الرياضيَّات قوم حُرموا من المخيلة معظمها فلا يأتون

بتأليف يُشعر بالتصاوير الخياليَّة اللينة . قلتُ هذا زعم حُرم من الصواب جانباً معتبرًا ونفنده كما يلي : لا نكير ان الرياضيين بسبب انقطاعهم الى المسائل النظريَّة لا يُبرزون من مبتكرات القريحة ما يخطف الابصار ويفتن القلوب كما هو شأن الشعراء ومشاهير ارباب الفنون لكنهم ليسوا لذلك معدومين نصيبهم من الخيـال بل اذا تدبّرنا المسألة الفيناهم حائزين منهُ على سهم اوفر من معظم البشر الّا ان خواصّ هـذه الخياليَّات يغلب عليها الرزانة والحدَّة دون الرونق والظرافة . أتظن مثلًا انَّ الحسابي البارع لا يفتقر الى سرعة ومتانة من التخيـل بالغة للاحاطة بمسألة عدديَّة سودت ارقامها العشرين او الثلاثين صفحة وكذا هلاَّ يلزم معلِّم المساحة قوة تصوُّريَّة عجيبة للاشتمال التام على رسم ملتبك التخطيط مبهم العلائم يلقي الدهشة في عقول العامَّة

لكن حذارِ حذارِ ان تدَّعي مع قوم منافقين ان الخيال (او الدماغ مركزهُ) آلة العقل البشري يُستخرَج منهُ الفكر كما يُستخلص الثلج من المصنع او الماء المقطَّر من الانبيق . فهذا ضلال وخيم نقض دعائمهُ المشرق (١٠٠٩:١) في ردهِ على المقتطف لانها مخلَّة بالمبادئ الصحيحة الراهنة تقود بالمرء توًّا الى مهواة المادّيين بتسويتها بين النفس الانسانيَّة والبهيميَّة . قلنا ان فعل الخيال شرط لازب لعمل البصيرة وهيهات ان نستنتج من هذا ان الخيال آلة العقل في حصر الكلام فمدار المسألة كلهُ على الفرق الجوهري القائم بين الشرط والآلة . نعم كلّ آلةٍ هي من شروط العمل المختصة بهِ لكن هذا لا يُعكس . فلبيان ذلك اورد تشبيهاً يقرّب الامر للاذهان : كلٌّ يعلم ان العين آلة البصر (organe de la vue) فافترض برهةً انك في سجن مدلهمّ مرتفع الجدران لا يلوح لك من نافذتهِ الوحيدة الّا كبد السماء دون البدائع التي تتسر بل الارض بجلاها الّا ان رجلًا حنونًا عزم ان يمتعك بهذه الروْية الجميلة فجهَّز مرآة كبيرة ينعكس فيها العـالم الخارجي بحيث يتيسّر لك التطلُّع فيهِ فما قولك في تلك المرآة أهي اداة البصر الخاصَّة بعزل عن العين التي طالما اقررتَ لها بهذه الخصلة أم هي مجرد شرط لاستتمام فعل البصر ؟ اخالك لا تغترّ بالظواهر وتثابر على سالف اعتقادك بان الآلة الوحيدة انما هي العين وان كل ما سواها وسائل وشروطٌ مهما كانت لازمة فهكذا العقل البشريّ مدَّة الحياة فانهُ متقلِّبٌ ضمن سجن الجسد وبموجب هذه الحالة حُتم عليهِ ان لا يتعقَّل شيئاً ممَّا فوقنا او حولنا او دوننا الّا متى بسطت المخيلة صورتهُ امامهُ شأن المرآة الصادقة فعلى هـذه

الصورة (phantasme) يشتغل الذهن بقوّتهِ التجريديَّة والتعميميَّة (abstraction et généralisation) وبذلك يستكمل الافتكار والّا فـلا. امّا ما يغوي المادّيين ويطمس على بصائرهم انهم يرون اضطراب العقل متابعاً دائماً اختلال الدماغ فيحكمون من ذلك بان الدماغ معمل الافكار فلا يأبهون بالخيال الذي يتوسّط بينهما ويكون هو اول هدف مستهدف لاضطرابات الدماغ فمنهُ ينتقل التشويش الى افعـال العقل بمثابة صدًى تنعكس رنّتهُ من غور الى آخر. فكفانا بذلك دليلًا على عدم تشبُّث العقل البشري بالمادَّة الهيولَّية وعلى شرف الخيلة آمتهِ الصادقة

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي

عني بنشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (تابع لما سبق ص ٢٧٨)

الفصل السادس

في مطلق الحروف في جميع اللغات

واعلم ان الحروف تختلف باختلاف اللغات بحسب تعدُّد مخارجها فحروف السريانيين والروم والفرس والصقلب والترك من اربعة وعشرين حرفًا الى ستَّة وعشرين حرفًا وحروف العبرانيين واليونانيين والقبط الاول والهنود وغيرهم من اثنين وثلثين الى ستَّة وثلثين(١. ويوجد في غير العربيَّة من الحروف ما لا يوجد في العربيَّـة كما يوجد في العربيَّة ما لا يوجد في غيرها من اللغات ويكثر في الاستعمال فيها ما لا يكثر في غيرها. فالحاء المهملة والظاء المعجمة ممَّا انفردت بها العرب في لغاتها واختصَّت بها دون غيرها من ارباب اللغات. والعين المهملة قليلة في كلام بعض الامم ومفقودة في كلام كثير منهم. وكذلك الصاد والضاد والذال المعجمة ليست في الفارسيَّة والثاء المثلَّثـة ليست في الروميَّة ولا في الفارسيَّة والقاف ليست في التركيَّة. قال الشيخ اثير الدين ابو حيان رحمه الله: ولذلك يقولون في قفيه « بقيه » بالباء الموحدة المشربة القويَّة

١) ليس هذا القول سديدًا فان حروف العبرانيين ٢٢ حرفًا وحروف اليونانيين ٢٦. امّا القبط الأول فكانت حروفهم البسيطة ٢٣ حرفًا اما حروفهم المركَّبة فكثيرة